عبد الله سامسا في جزيرة الواقواق

قصة قصيرة بقلم مصطفى المسناوي

١ ـ في البدء :

في البدء كان الشعب . وكان الشعب حرا في الموت من الجوع والصمت أو من رطوبة السجون والمعتقلات السرية . وعندما استيقظ عبد الله سامسا من نومه ذات صباح ، بعد حلم مزعج ، لم يجد نفسه متحولا الى حشرة رائعة ولكنه وجد بداخل رأسه فكرة مستوردة .

٢ ـ عبد الله سامسا :

قال قل .

٣ ـ جزيرة الواقواق (مقطع من الموسوعة الفرعونية الكبرى) :

« تقع حدود جزيرة الواقواق داخلها ، لا خارجها مثلما يتوهم البعض ، ولهذا انما يعزى فشل الجغرافيين في تحديد موقعها على الخريطة ، وتمادى بعضهم الى حد انكار وجودها . والحال انها موجودة ، ولا أدلّ على ذلك من وجود اسمها ذي المقطعين عظيمي الدلالة : (واق ـ واق) .

« وتحدد الجزيرة بسلسلتين جبليتين عرفت أولاهما بعمارات جالوت العظمى ، وتعرف الثانية بـ (فيلات) طاغوت الهادئة ، وهما سلسلتان تكونتا في العصر الثالث . ورغم ضآلة المساحة التي تحتلانها فقد لقيتا اهمية بالغة من علماء الجيولوجيا ، اكثر من تلك التي لقيتها سهول الجزيرة الواسعة التي اصطلح بعض الانثروبولوجيين على تسميتها بـ (الاودية البيدونفيلية) .

« أما الانهار ، فهناك سبعة اساسية ، عدا الفرعية ، تنبع كلها من القلاع والحصون التي تملأ الاودية المذكورة ، وتصبّ مياهها الحمراء ـ السوداء في أغلب الاحيان ـ في الفراغ المحيط بقرص الارض .

« وعن تاريخها فقد حكى جاما دي فاسكو في كتابه (رحلة العالم حولي) ـ ص ٥١٧ ـ ان هذه الجزيرة كانت متصلة باليابسة في قديم الزمان ، الى أن فصلها عنها الفاتح الاشهر « الاسكندر ذو القرن الواحد » بحدّ سيفه ، في القرن الاول لاختفاء قارة اطلنطا تحت رمال القطب المتجمد الغربي ، ولا زالت سلالة هذا الفاتح تتناوب على حكم هذه الجزيرة الى الآن ، بالجزرة مرة وبالعصا مرات .

« أما سياسة الجزيرة فهي موضوع ممنوع الخوض فيه ، ولذلك لن نتحدث عنه في هذا المجال » .

٤ ـ عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟

٥ ـ بعض ما رواه الشريف الشيخ احمد النيسابوري عن مشاهداته في جزيرة الواقواق (أ) :

« ... وقد كنت في احد ايام شعبان لسنة خمس وتسعين وصفر واربعمائة بخان المسافرين لمدينة الواقواق لما ساد هرج ومرج عظيمان في الخارج ، فخرجت استطلع جلية الامر من ناحية باب المدخل فاذا بعربات بلاد العجم السوداء تجري في الزقاق وأمامها يركض جمع غفير من مردة وفتيات الجزيرة وهم يصرخون بكلام لم أفهمه حتى تكاد لهاتهم تنشقّ ، وبغتة لم يدر الناظر الا وقد انفتحت عربات بلاد العجم عن أشخاص هم بالفزّاعات أشبه ، يقبضون على خراطيم الافيال ، ثم الا وهم ينزلون بها على كل من صادفوه امامهم ظهورا وجنوبا واذرعا غير مبالين بالاضلع المنحطمة والدماء الفائرة . ولكزني مسافر وقف بجانبي يشاهد ان انظر ، فنظرت حيث أشار فرأيت احدى فزّاعات بلاد العجم تلك قادمة نحونا وهي تهزّ خرطومها في هزّ من يبتغي الفتنة والفتك ،

فاستغثت بالله طالبا منه السلامة ورفعت اذيالي ثم عدوت الى حجرتي » .

٦ ـ عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا اقول ؟ قال قل .

٧ ـ مقتطف من حديث اذاعته جزيرة الواقواق :

« ... وخلاصنا أيها الاخوة في الروح لا في المادة. لنترك لأمم المادة أن تنزل فوق القمر والمريخ والشمس ، وأن تعرّي بناتها وأبناءها وتدفعهم لمزاولة الفحشاء في الشوارع ، لنترك لها أن تخترع نظريات الالحاد والفوضى القائلة بأن الاقتصاد أساس المجتمع وان المجتمع منقسم الى طبقات متناحرة وان مصدر متاعب الناس امتلاكهم للارض ، والقائلة ـ بلا خجل ـ ان أصل الانسان الطاهر الزكي هذا يعود الى قرد (وهذا ينطبق على اصحابها أولا وأخيرا ، ولا يقول به الا من كان جده قردا بالفعل ، أما نحن فجدنا هو آدم عليه السلام ، ومن لم يقبل بذلك فليضرب راسه مع الحائط) ... لنترك لهم كل ذلك أيها الاخوة ، ولنعد الى العالم الحقيقي ، الى عالم الروح الذي لا تنافر فيه ولا اضطراب ولا ازعاج ولا انزعاج ، بل سعادة لانهائية مطلقة ، وطمأنينة لا حدّ لها، وسيادة حقيقية خالدة على عالمي الاولى والآخرة .. » .

٨ ـ عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟ قال قل . قال ليس لي ما أقوله .

٩ ـ بعض ما رواه الشريف الشيخ احمد النيسابوري... (ب) :

« ... ولما استعلمت عشية يومه صاحب الخان اعلمني ان الجزيرة تكابد قرابة جيلين من المجاعات والويلات المدمرة الكاسحة ، وان علماء المدينة وفقهاءها وأولي الشأن فيها تذاكروا في الامر وتشاوروا فيه مددا ثم أفتوا بأن سبب قحط البلاد والفوضى الضاربة فيها الاطناب هو انتشار أفكار غريبة أجنبية مستوردة واحتلالها لعقول العباد بالقبح والفساد وبسببه انما قرّ عزم ولاة المصر وتصميمهم على جهاد منكر الافكار هذه وقطع دابرها . وافادني صاحب الخان ان ما جرى صبيحته لم يكن سوى حرب من الحروب العديدة التي تخوضها الجزيرة لمحو دابر الافكار تلك . فاستغربت وقلت له : ان خلقا كثيرا قتل وأنا أنظر . فقال لي : ان ما رايته ليس خلقا وانما هي أفكار مستوردة يخيل للرائي انها تمشي وتتكلم وتقوم وتقعد مثل سائر الخلق بينما هي خيالات لا أعيان لها (...) وانتهيت الى ان قول القائل منهم فكرة مستوردة هو عندهم بمثابة القائل عندنا جنّ او عفريت أو ما شابههما ... » .

١٠ ـ عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟ قال قل . قال ليس لي ما أقوله . قال قل . وانبعثت قبضة رعناء انحدرت عن جد البشر الاول في سرعة الضوء لتستقر تحت منتصف الاضلع السفلى. ومن فمه المفتوح انبثق عواء ذئب وخيط دم وطارت جثته الى الخلف وصاح : قتلتموني . فقال : الآن كلا ، ولكن ان رفضت البوح سنفعل .

ـ ملاحق :

الملحق الاول : مقطع من تقرير مقدم الحي :

« ... اقسم بالله العظيم ثلاثا انه اصبح كافرا ، فبأذنيّ هاتين ـ قطعهما الله ان كنت كاذبا ـ سمعت السيد (...) امام المسجد يلومه على تركه للصلاة دونما سبب ويناشده العودة الى حظيرة السلف الصالح ، وبعينيّ هاتين ـ فقأهما الله ان انا جانبت جادة الصواب ـ شاهدته ـ اي والله ـ يرفع كتفيه في استهانة ونزق وينصرف تاركا العالم الفقيه الورع فاغر الفم جاحظ العين (...) وقد أخبرني الحاج (...) صاحب دكان المواد الغذائية انه تكلم معه بتطاول عن ارتفاع اثمنة خيرات الله وقال له ان سببه هو وجود فقراء كثيرين وأغنياء قلة يأكلون أموال أولئك . فلما ذكره الحاج (...) بأن الله فضّل بعضا على بعض في الرزق أجابه ـ أعوذ بالله من جواب ـ ان المقصود بالرزق العقل وليس المال والنقد (...) وقد حاولت جهد المستطاع ان أتصل بهذا الزنديق واعرف ما وراء راسه ، الا انه قطع كلامه معي وأصبح يشيح عني بوجهه كلما رآني قادما من بعيد أو القيت له بتحية » .

الملحق الثاني : « محضر » :

« قمنا صبيحة يوم (...) على الساعة (...) بكبس منزل المدعو عبد الله سامسا ، وقد وجدناه وحده، غارقا في النوم . فألقينا عليه القبض حسب الامر (...) الصادر بتاريخ (...) .

وبعد تفتيش لمنزله استغرق يوما كاملا ، ضبطنا بحوزته ما يلي :

ـ كتابا عنوانه : جمهورية افلاطون الديموقراطية .
ـ صورة ملونة لعدد ضخم من الناس الباسمين .
ـ تابوتا خشبيا أسود اللون .

وقد قمنا بمصادرة هذه الادلة ، وحملناها مـــع الموقوف الى (...) .

وحرّر هذا المحضر بحضور (...) » .

الملحق الثالث : « تحقيق » :

« ــ لماذا لم تعد تردّ التحية على مقدّم الحي :

ــ . . . . . .

ــ مسألة تخصك وحدك ، أليس كذلك ؟

ــ . . . . . .

ــ ولم قطعت صلاتك ؟

ــ . . . . . .

ــ مسألة خاصة ايضا ، أليس كذلك ؟

ــ . . . . . .

ــ والاحتفاظ بالكتب والصور الممنوعـة والتوابيت في البيت ؟ مسألة خاصة ايضا ؟ والفقراء والاغنيـــاء والعقل ؟ كلها مسائل خاصة طبعا ؟..

ــ . . . . . .

ــ حتى نحن نعتقلك لانها مسألة خاصة بنا وحدنا.. ها ها ها ... ماذا ترى ؟ » .

الملحق الرابع : مقطع من تقرير سري :

« ورغم رفضه التكلم عن زعمائه وشركائه في الفتنة مع مختلف الاساليب التي استعملناها معه ، يبقى لدينا دليل قوي على ما أشيع من حمله للافـكار المستوردة ، وهو ، بالاضافة الى الكتاب والصور والتابوت الاسـود الذي حرّمنا صنع أمثاله منذ غادر الروم بلادنا مغـادرة نهائية ، وحصلنا على حريتنا المطلقة ... » .

الملحق الاخير : شهادة شخص رفض أن يذكر اسمه :

« أتوا به ليلا . لم ار وجهه ، لكـن جسمه كـان منتفخا . وضعـــوه في مخزن الجثث الثلجي وأمروني بحراسته . حرسته يومين كاملين قبل أن يعودوا ثانية . سألوني : هل تحرك ؟ دهشت وقلت : لا . بدوا فزعين رغم تظاهرهم بغير ذلك . وقعوا على الاوراق بسرعـة ، وقال لهم الطبيب المشرف : الا تتركونه لطلبة التشريح ؟ فقالوا : لا ! في انزعاج ظاهر ، وأمروا الممرض المساعـد باخراجه ، وبسرعة ذهبوا به . لم المح منه سوى قدميه . كانت اظافرهما مقتلعة ، وباطناهما ممزقين . خيّل لي انني لمحت من خـلال المزق الزرقاء وسواد الدم المتجمد صفرة السلاميات . خيّل لي فقط ، لانه بمجرد القـائي النظرة ارتداني غثيان مريع ودوار لم أبرأ منه بعد... » .

الدار البيضاء

مصطفى المسناوي

المغرب

عبد الكريم الطبّال

يا فرسا يتوثب فوق الزمن الواقف
يجتاز القصر . ولا يسقط في الظلّ الوارف
هل تسمح أن تحملني .. في حضنك
ريحا جنّت . في فصل شتاء
نهرا مهموما في بحر ، يحلم أن تتوحد فيه الاسماء
اني ... منذ سنين ، ارسم في أوراقي
صقرا يمتلك الاجواء
اغرس في بستاني
شجرا مجهول الورد ، ومجهول الافياء
اكتب في قلبي
أشعار الغابات القصوى
وتلاحم أرواح خلف الآفاق
اني ... منذ سنين ، ابكي في الغربه
ماذا يجدي الصقر المرسوم ؟
والشجر المفهوم
والشعر عن الزمن المفقود ؟

* * *

يا فرسا .. يا من لا ادرك وجهه
اني أملك سيف الفرسان
وجنان الشهداء
وكليم الشعراء
احملني ... عبر الاصل